مقدمـــــة

كان أملى أن أكتب دراسـة عن السيدة الطاهرة فاطمة الـزهراء . . أنها بنت رسولنا الكريم محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، والتى عاشت فى كنف والدها العظيم قبل الرسالة . . طفلة تفـتحت عيناها على الحياة فى بيت والدها العظيـم محمد بن عبدالـله . . والذى كان له مكانتـه فى مجتمع مكـه لأمانته وسلوكه القويم حتى سموه (الامين) .

. . كما عاشت فى بيت والدتها الثرية (خديجة بنت خويلد والتى رأت فيها مثالا للأم الحريصة على بناتهـا وزوجها . . ذات الذكاء اللماح ، والتى كانت مكه تكن لها كل الأحترام والإجلال .

. . فاطمـة فى سنهـا الصغيـرة شاهدت والدهـا عندما نـزل عليه الـوحى بالرسالة الخاتمة . . وكيف بدأ يشعر بثـقل المسئولية . . فإنه لم يكن سهلا ولا ميسورا ان يتقبل المجتمع المكى دعوة الاسلام .

لإنها تنادى بالتوحيد وهم تعودوا تقديس الاصنام عن أبائهم واجدادهم .

وكان من الصـعب ان تشق الدعوة طريـقها وسط قلوب كـالحجارة أو أشد قسوة . . عقول لـم تألف ان تفكر فى الوجـود وماوراء الوجود . . وأن وراء هذا الإتساق الكونى خالقا مبدعا خلق كل الكائنات لعبادته .

. . لقد استراحت عقـولهم القاصرة بأن هذه الاصنام التى يمـتلىء بها بيت الله الحرام تقربهم إلى الله زلفى .

كما أن هذه الـدعوة كان من الصعب أن تـشق طريقها وسط هـذا المجتمع القبـلى الذى يتفـاخر بالانساب والالـقاب . . ان كثيـرا منهم يرى فـى (نبوة) الرسول ارتفاعا بقدر بنى هاشم ، وإعلاء لشأنهم فكان لابد ان يحاربوا الدعوة وصاحب الدعوة .

وشاهدت فاطمة . . ردود أفعال مكه عندما جاهر النبى بدعوته ، وايذائهم للمسلـمين وخاصة المستضعفين مـنهم . . بل ان فاطمة وهى التـى لم تتجاوز الخامسة من عمرها ذهبت إلى والدهـا فى بيت الله الحرام ، فرأت كيف وضع بعض الـسفهاء الـقاذورات على رأس أبيـها وهو ساجـد لربه ، فرفـعت هذه القاذورات عن الاب العظيم بعيون دامعة .

وشاهدت فـاطمة كيف طالـب مشركوا مكـه والدها بأن يأتى بمـا لا يمكن تصوره ، وهم يـحاولون تعجيزة ، لـوقف دعوته عن الانتـشار . . وقد صور القرآن الكريم ذلك بقوله :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الاسراء ٩٠ ـ ٩٣) .

كان من الصعب ان تسير الدعوة فى طريـقها وسط هذه القلوب المتحجرة ، والعقول المتحـجرة ، التى درجت على الجدل العقيم . والـقرآن الكريم يصور هؤلاء الناس بقوله :

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ (الانبياء ١٧) .

. . شاهدت الزهراء متاعب والدها العظيم . . ومعايلاقية المؤمنين من عذاب، حتى اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة . . كما حوصر قومها في شعب من شعاب مكة في حصار ظالم بغيض ، لم يراع فيه اهل مكة صلة الرحم ، ولا انسانية ولا قرابة !!

وصمد النبي عليه الصلاة والسلام لكل هذه الالوان من العنت والظلم والطغيان . . إلى أن أمره الله بالهجرة إلى يثرب . . وهاجر .

وكان أبوبكر الصديق ثان اثنين إذ هما في الغار . . وبقي علي بن ابي طالب في فراش الرسول يوم المؤامرة عليه ، فبات في فراشه ليلة الهجرة ، وليرد الأمانات التي كانت لدى رسول الله لبعض الناس . .

هاجرت فاطمة إلى المدينة . . لتعيش في كنف والدها العظيم عليه الصلاة والسلام . . الذي حقق أول انتصاراته الحاسمة على كفار مكة في معركة (بدر) الكبرى . . وشاهدت تكوين أول حكومة إسلامية بقيادة الرسول في المدينة .

وكان لابد لها ان تتزوج . .

وتزوجت علي بن ابي طالب . .

انجبت منه الحسن والحسين ومحسن ، وزينب ، و ام كلثوم ورقية . ومحسن مات عقب ولادته كما تقول بعض الروايات

كانت اقرب الناس إلى صدر والدها علية الصلاة والسلام .

وكان اولادها هم اولاد الرسول الذي كان يحبهم حبا جما لانه لم يرزق الولد . . فقد مات ابنه ابراهيم صغيرا . . وحزن عليه حزنا شديدا ، بل انه

بكى لفراقه . . وقد قال لاصحابة عقب وفاة ابنه ابراهيم : ما عن الحزن نهيت، وانما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء ، وانه ماترون بى أثر ما فى القلب من محبة ورحمة ، ومن لم يبد الرحمة لم يبد غيره عليه الرحمة .

وقد حدث عند موت ابنه إبراهيم أن حدث خسوف للشمس . . وظن، البعض أن هذا الخسوف بسبب موت ابراهيم ولكن اعظم رسل الله قال لهم :

- إن الشمس والقمر أيستان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا حياته . . فإذا رأيتهم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة .

. . وجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى أولاد فاطمة امتدادا له . . فأحبهم حبا شديدا . . وقربهم اليه ، بل كان ينزل من على منبرة إذا وجد أحدهما يتعثر فى ملابسة فى المسجد . . !ليساعده على النهوض.

وعاشت فاطمة قريبة من قلب والدها العظيم .

وعاش أولادها قريبون من قلب جدهم عليه الصلاة والسلام .

ومضى رسول الله إلى أكرم جوار . . بعد أن أخبر ابنته فاطمة الزهراء بأنها أول أهل بيته لحوقاً به.

وقرت عين الزهراء بهذه البشرى . . وابتسمت عندما حدثها الرسول عليه الصلاة والسلام فى مرض موته بهذا .

وعاشت الزهراء بعدها ستة اشهر او أقل على حسب اختلاف الروايات ولكنها فى هذه الشهور القليلة التى عاشتها بعد الرسول الكريم شاهدت احداثا كثيرة .

شاهدت الخلافة . . خلافة والدها وقد انتقلت للصديق ، وكانت تريدها لزوجها على بن ابى طالب.

واختلفت مع الصديق على أرض (فدك) ولكن الصديق كان يتمنى رضاها.

.. فقد كانت حبيبة إلى قلبه ، لحبة الفائق لوالدها العظيم .

وشاهدت انطلاقة الفتوحات الاسلامية لتجابة اعظم امبراطوريات عصرها .. الفرس والروم .

وانتقلت إلى جوار ربها .. راضية مرضية ولكن زوجها ، واولادها : الحسن والحسين ، قد تركا بصمات لا تمحى فى مسيرة التاريخ الاسلامى ، وتعرض نسلها لما هو فوق طاقة البشر .. ولكن هذا النسل الطاهر .. كان دائما فى مستوى المسئولية .. جاهدوا فى الله حق جهادة .. وعاشوا لله وبالله . وكانوا مثالا رائعا للاقتداء بسيدة نساء العالمين .. فاطمة الزهراء .. فى زهدها وتقواها .. وحبها العظيم للاسلام ونبى الاسلام ..

وظل احفادها فى جهادهم ضد قوى البطش والطغيان محاولين اعادة الحكم إلى عصورة الذهبية فى عصر النبى عليه الصلاة والسلام والشيخان (أبوبكر و عمر) فلاقوا فى سبيل ذلك مالاقوا من اضطهاد ونفى وتشريد وقتل، إلى ان قامت الدولة الفاطمية فى المغرب وانتقلت إلى مصر وهى تحمل اسم فاطمة الزهراء ..

وستظل اسم فاطمة الزهراء فى قلوب كل محبى لآل البيت.. لأنها بنت الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام والتى قال عنها انها سيدة نساء اهل الجنة .

مأمون غريب